

الأحد 15-08-2010

1080- "نعم" - "رمضان كريم، و"كن": الله أكرمها

### تعتة الوفد

في مقال الأسبوع الماضي قدمنا أمثلة عديدة في السياسة، وأمثلة محدودة في الحب، توضح بعض جوانب هذه اللعبة التي نلعبها طول الوقت في حياتنا العادية حتى لو لم نستعمل نفس المصطلح "لعبة"، ولا نفس الألفاظ: "نعم... ولكن"

الذي غلب على مقال الأسبوع الماضي هو استعمال هذا التعبير للتحايل والمناورة وتمييع المواقف، للتخلي عن الحسم، وعن الوفاء بالوعد، وعن تحديد الأمور، لكنني أنهيت المقال بالتنبيه إلى أنه لنفس اللعبة وجها إيجابيا في الحياة العامة، ولم أطرقت لتوظيفها في فهم المرض النفسي والعلاج النفسي.

طلب مني بعض الأصدقاء مزيدا من التوضيح عن الاستعمال الإيجابي لهذه اللعبة، بمزيد من الأمثلة، حيث بدا المثال في آخر المقال غير كاف، أو هو أقرب إلى التطبيب الآيل منه إلى التحديد الواقعي باستعمال إيجابي فعلا، فاستجبت هكذا:

إن تعبير "نعم... ولكن" يمكن أن يكون نقدا ذاتيا أو تنبيها مفيدا يوقف التمادي في أحادية التفكير ونفى "الآخر"، بمعنى أنه قد يكون محاولة تصحيح نوع مطلق من إصدار الأحكام العامة الصارمة: إن "نعم" بدون "لكن" قد تنتهي بنا إلى الاستقطاب المشلول، والتعصب المتصلب، والوثقانية (الديجماطيقية) العمياء. بل إن هذه الـ"نعم" المغلقة هكذا يمكن أن تقتل الإبداع قتلا.

نبدأ ببعض هذه الـ"نعم"ات المطلقة التي نحذر منها  
مثل:

نعم: الديمقراطية هي الحل

نعم: الإسلام هو الحل

نعم: "العلم" هو الحل

نعم: العلمانية (السكرلة secularism) هي الحل

نعم: الرأسالية هي الحل

نعم: السلام هو الحل

نعم: أمريكا هي الحل

نعم: الاشتراكية (أو الشيوعية) هي الحل

... إلخ... إلخ

لو اننا توقفنا عند هذه المرحلة من إصدار الأحكام المطلقة المغلقة التي تبعدنا عن بعضنا البعض، فلن نخرج إلا بمجموعات متشنجة من البشر المتنافرين الذي لا يحسم الأمور بينهم إلا الحرب، لنؤكد قانونا ثبت فسادُه كنا نتصور أنه القانون الأهم في البقاء، قانون يقول: البقاء للأقوى، وقد ثبت أن هذا وارد أحيانا في ظروف محدودة، لكن الأهم هو أن البقاء للأكثر تلاؤما مع الطبيعة، والأكثر تكافلا مع الأحياء التي ترى بقاءها في بقاء الحياة نفسها. "نعم" بدون "لكن"، ترجح قانونا بشريا خائبا يقول "الشطارة للأغبي الأقوى" معا، ولأنه أغبي بقدر ما هو أقوى، فهو على طريق الانقراض.

وعلى ذكر الانقراض، فدعوني أقدم لكن هذا الفرض العلمي الذي قارب النظرية:

**"إن أي توقف عند حل مغلق على أنه الحل الأوحده هو السبب الحقيقي لانقراض الأحياء التي انقرضت".** إن أي كائن حي عجز عن التكيف مع الطبيعة (بالطول والعرض، طقسا وجغرافية ومواردا)، وعن التكافل مع سائر الأحياء المحيطة (وليس مجرد الانتصار عليها) انقرض لأنه تصور أن بقاء نوعه منفردا "هو الحل"، وهذا ضد الحياة كما أرادها الله سبحانه.

إنسان اليوم معرض أكثر من أي يوم مضى للاستمرار في هذا الاتجاه الخاطئ، تعالوا نعيد النظر فيما سبق من أمثلة لنكملها إيجابيا بما تيسر من نقد واع صعب، فنصحج "نعم" المغلقة، بـ "لكن" المستدركة الناقدة على الوجه التالي:

**نعم: الديمقراطية هي الحل**

**ولكن** ليست ديمقراطية أمريكا، ولا الديمقراطية بالإنابة، ولكن الديمقراطية التي سوف يتوصل لها الإبداع البشري القادر، بالتكنولوجيا الاحداث فالأحدث التي تسمح أن يشارك كل الناس في اتخاذ قرارات بقائهم معا بشرا بحق، فهي ديمقراطية العدل والخرية وليست ديمقراطية الإعلام والمال، فهيا إلى محاولات إبداعها المتمادية؟

**نعم: الإسلام هو الحل**

**ولكن:** ليس بمعنى الإسلام الذي أصبحت السلطات الدينية الكهنوتية وصية عليه، أي ليس بالمعنى الذي يبتكره نفر من البشر يعطون لأنفسهم الحق في تفسير كلام الله دون غيرهم، ولا هو الإسلام الذي يستعمل من الظاهر، ولا الإسلام الذي ينفي كل من لا يحمل لفظ الإسلام من حظيرة الإيمان والعلاقة الخلاقة بالله سبحانه

**نعم: "العلم" هو الحل**

**ولكن:** ليس العلم الذى اصبح له كهنة وقساوسة يمثلون "الكنيسة الحاسوبية الكبرى"، حيث استولى على ما يسمى العلم أتباع منهج مغلق وصى معقلن، راح ينفى مناهج المعرفة الأخرى الأشمل والأعمق، مع أنها هي هي المناهج التى حافظت على كل الأحياء المتبقية على ظهر الأرض حتى الآن (واحد فى الألف فقط من بينها الإنسان والجراد والخنازير والفيلة والذباب... الخ)، **"نعم":** العلم هو الحل **"ولكن"** على أن يشمل كل مناهج ومناهل المعرفة مجردية متكاملة متكافئة تحتوى إبداع الجنس البشرى جميعه ما أمكن ذلك

**نعم: العلمانية (السكرلة) هي الحل**

**ولكن** ليس باسبتعاد وتهميش الدين والإيمان من جوهر الحياة اليومية وكأنه حلية أو نشاط هامشى أو ترفيهى شخصى بعض الوقت، السكرلية (العلمانية) ينبغى أن تقتصر على نفى أن يمتلك مصائر الناس نفر من البشر يستولون على السلطة الدنيوية باحتكار الحق المطلق باسم الله سبحانه تحت عنوان أن هذه السلطة إنما تحكم نيابة عنه تعالى، ليس للعلمانية أن تمتد لتصبح وصية على وضع الدين وكدح الإيمان فى حياة الناس فيحل محل ذلك غرور بشرى قاصر منعزل.

**نعم: الرأسمالية هي الحل (نهاية التاريخ)**

**ولكن :** ليست الرأسمالية المالية، وليست الرأسمالية الكانبيالية (أكلة حوم البشر) وليست الرأسمالية المافياوية التى فصلت المال حتى عن أصحابه، وسخرته لفئات سرية منفصلة عن سائر البشر .....

**نعم: السلام هو الحل**

**ولكن:** ليس بمعنى نفى الحرب تماما ودائما لصالح الأقوى الذى يمارس كل أنواع الحروب حتى تحت راية ما يسميه معاهدات السلام، ثقافة السلام المطلق والدائم هي ضد قانون التطور الأبدى، **نعم:** معاهدات السلام واتفاقات السلام هي اضطرار مؤقت من جانب الأضعف، **ولكن** أن يترادف ما هو سلام أو معاهدة سلام، مع ثقافة السلام بمعنى حرمان هذا الأضعف من استعادة وسائل القوة استعدادا لتصحيح ما اضطر إليه، فهذا ليس حلا، وإنما هو إذلال دائم وخداع متجدد.

**نعم: أمريكا هي الحل**

**ولكن :** هذا قول تفاوضى مناوراتى ليس أكثر، أما أن يصبح حقيقة تهرر التبعية المطلقة، والتخاذل المتماذى والتسليم غير المشروط، فهذا ليس حلا، لا لنا، ولا لأمريكا (لأهلنا الأمريكين الذين يجاربون معنا معركة بقاء البشر) ، لا بد من فصل أمريكا السلطة عن أمريكا الناس المبدعين بها، وهذا وارد حتى داخل أمريكا بعد أن كشفت أمريكا السلطة عن

أنها ليست إلا واجهة لسلطة خفية أكثر فجرا وبجاجة من إسرائيل نفسها، وبعد أن تعرت باستعمالها الفيتو في كل مناسبة دون حجل، وفي إعطائها الضوء الأخضر لكل غزو، أو قتل جماعي أو إبادة، بعد كل ذلك: فإن تكرار مثل هذا القول يصبح أقرب إلى البله أو الخيانة.

**نعم:** الاشتراكية هي الحل

**ولكن:** لا بد من التركيز على التطبيق أكثر من الوثوق في التنظير، كما لا بد من تناسب اللحظة التاريخية مع الثقافات المتنوعة مع الاستفادة من الخبرات السابقة.

**وبعد**

فالمسألة ليست في رفض أسلوب "نعم" و "لكن"، ولكن في كيفية استعماله، وهدف استعماله.

وإليك هذه التهئة البسيطة بنفس الألفاظ بمناسبة شهر رمضان المعظم

**نعم** رمضان كريم، **ولكن** : الله أكرم".

الله أكرم يجرى الخير للناس عبر كل الناس طول الوقت، من كل حذب وصبوب، راجع اليوم، إن شئت تعتعة الدستور: بيل "عز" & جيتس "ساويرس"، و"مواند الرحمن" المليارديرية!